تقنيتا (الاسترجاع - الاستشراف) في (حديث الاشجار) لفؤاد التكرلي

م. بيداء حازم سعدون
كلية التربية / جامعة الموصل

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص

تهدف هذه المقاربة الى دراسة تقنيتي (الاسترجاع – الاستشراف)والتي ترسخت في العمل الابداعي (حديث الاشجار) لفؤاد التكرلي، إذ تظهر هذه التقنية لديه بكثافة شديدة ركزت على هذا المفهوم، وهذا ما يعطي النص نوعا من التماسك، على ان الوظائف التي تقوم بها كلتا التقنيتين لا يمكن ان تحصى، وانها مهما تعددت الوظائف او تنوعت فهي تبقى متنفسا يلجأ أليها الشخصيات التي تتحرك دائما تبحث عن مصائرها ومساراتها التي تتغير دائما، واشتملت الدراسة على مبحثين تضمن المبحث الاول دراسة تقنية (الاسترجاع) اما المبحث الثاني فلقد تناولنا فيه التقنية الثانية (الاستشراف) مع نماذج تطبيقية من المجموعة محور الدراسة لكلا التقنيتين، وانتهى البحث بخاتمة اشتملت على اهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة ثم قائمة باهم المصادر والمراجع.

المبحث الأول
الاسترجاع

يعد الاسترجاع الحركة الاولى في البنية الزمنية وهو يعني ((العودة إلى الوراء لاستدعاء احداث سابقة وقعت في الماضي يلجأ اليها الكاتب لملء فراغات زمنية تساعد على فهم الاحداث))[١].

لان الاسترجاع هو ((كل ذكر لاحق لحدث سابق للنقطة التي نحن فيها من القصة))[٢]. كما انه يمثل نوعا من ((الذاكرة القصصية التي توقف السرد المتنامي لتعود به الى الوراء حيث الماضي الذي يعلل ويفسر جوانب الحاضر المظلمة)) [٣].

ويعد من تقنيات الاخراج السينمائي الحديث الذي انتقل الى الفن الروائي ويسمى هذا الاسلوب بـ ((الفلاش باك إذ يعيد الاحداث الى الوراء ليكون في الفيلم مشهدا اضافيا يسعى لتذكير المتفرجين بحادث سابق)) [٤].

وقد يسمى الاسترجاع عدة تسميات مثل ٠(الاستذكار))[٥]((اللاحقة))[٦] ((الرجعة))[٧] ((الارتداء))[٨] ((الاستحضار))[٩] ((الارتجاع الفني))[١٠] فالكاتب يلجأ الى تقنية في عمله الابداعي بعدة وسائل كأن يذكر داخل سياق الحكاية الاولى الاساسية التي تقوم عليها مجريات القصة عناصر جديدة غير متأصلة فيها ، أو يذكر القاص شخصية جديدة ويحاول سرد معلومات متعلقة بتلك الشخصية لاضاءة حياتها السابقة، أو أن تتم العودة الى تسليط الضوء على شخصية غيبت مدة عن سطح المسار السردي لها دورها الحيوي داخل الحكاية الاولى بسرد حكاية تتعلق بموقف ما.

فالاسترجاع وفق ذلك ((مسيرة من الغموض مسيرة من التوقفات عند محطات معينة يحددها الحاضر أي لحظات الماضي لحظات تستعاد وتلتقط في التداعيات الذهنية، او وفق استناد جدلي الى الحاضر ذلك الاستناد الذي يتحدد في كون الماضي يتقيد بموضوعية شعورية حاضرة بالضرورة)) [١١].

ويعد كل هذه الاشارات لصور الاسترجاع في الخطاب السردي، يمكننا ان نستجلي الوظيفة الاساسية التي تشكلها تلك التقنية وهي ((ملء الفجوات التي يخلفها السرد وراءه، كما

يوظف الروائيون الاسترجاع لاغناء الحدث التي سبقت الاشارة اليها ثم تركت جانبا فيأتي الاسترجاع لتدارك الموقف بل قد يكون الاسترجاع احيانا تكرار يفيد التذكير لغايات جمالية ودلالية))[١٢].

ولقد وظف القاص فؤاد التكرلي لتقنية (الاسترجاع) في مجموعته القصصية ((حديث الأشجار)) [١٢] محور الدراسة فلا نكاد نجد قصة تخلو من هذه القضية لتسليط الضوء على ((فترة زمنية قريبة حيث الماضي القريب الذي ما يزال حيا في ذاكرة الشخصية ويبدو واضحا هذا الماضي في صنع احداث الحاضر)) [١٤].

ففي قصة ((سر الطفل)) [١٥] وظف الراوي الاسترجاع على لسان الشخصية فينقله لنا عبر السرد الذاتي من خلال حوار الشخصية الداخلي فيقول ((كانت امسية عجيبة. لم يكن في الدار غيري حين اطلت برأسها من وراء الجدار فاخذت ترسل نداءاتها المتتالية، كان سامي ابني وامه قد خرجا لقضاء شأن ما لا اتذكره، وكانت اشعة الشمس الحمراء تنبر وجهها الملون وتزيد من التماعات عينيها. سألتها عما تريد، فتضاحكت بخفة ولم تجب. اقتربت من الجدار بحذر. سألتني عن ام سامي فأخبرتها، فرجتني شبه متوسلة ان اساعدها على تشغيل ماكنة الغسيل التي توقفت فجأة، ثم أضافت أن أبنها احمد مريض منذ يوم امس وتخشى ان تزعجه ان هي أساءت تشغيل الماكنة))[١٦].

فالاسترجاع قد جاء عن طريق الشخصية القصصية نفسها بالاستعانة بتيار الوعي وهي وسيلة اكتسبها الفن القصصي من السينما ومنها ((الارتداد الى الماضي (**Flash Back**) الذي يمثل نوعا من انواع السرد الذاتي الذي يمكن ان نطلق عليه (السرد الصامت) حيث الاستفادة من تكنيك (المونولوج الداخلي) في رواية تيار الوعي)) [١٧] فالاسترجاع قد جاء عبر بناء نمط الحدث المتداخل أي التداخل بين احداث وقعت بالماضي وأحداث تعيشها الشخصية بالحاضر التي وظفها القاص عبر تيار الوعي على لسان شخصية (أبو سامي).

وفي قصة ((الأغنية الأخرى)) [١٨] جاءنا الاسترجاع على لسان الراوي جسده لنا عبر السرد الموضوعي وهو يصف لنا موقف الفتاة بعد عودتها الى بلدها تونس ورغبة الاهل بتزويجها من الشاب الذي بقى ينتظرها سنين طويلة فيقول: ((منذ عودتها الى تونس من الخارج

لم تجد امها بهذه الحالة النفسية من الاطمئنان رغم انشغالها المستمر.كانت العائلة مهمومة على الدوام بفراقها وبعودتها وبعدم اكتراثها بالاستقرار ،وهو ماكان يعني عندهم الزواج لم يعرفوابالضبط ماجرى لها في الخارج وحين رجعت رجوعاغامضا)) [١٩].

وفي قصة ((قضية خاصة، فانتازي))[٢٠] فان المصطلح (فانتازي) الذي أضافه القاص إلى العنوان تقرأ (فنطازيا) وهو ((مصطلح قديم أستعمله أرسطو، ثم أنتقل بعد ذلك الى فلسفة القرون الوسطى للدلالة على الصور الحسية في الذهن))[٢١] فنقرأ الاسترجاع الذي وظفه الرواي في الكشف عن الحالة النفسية التي تعيشها شخصية (صبري) والتي دفعته الى رسم إشارات وخطوط تشبه النوطة الموسيقية وحالة القلق التي عاشتها (ام صبري) بعدما عثرت على تلك الاوراق التي تتضمن تلك الاشارات الرمزية ينقله لنا عبر السرد الموضوعي على لسان الراوي فيقول: ((كان في نية المعلمة رسمية ان تعرض صورة الاوراق على زميل لها من المدرسة (باب الشيخ) الابتدائية للبنات، يزورهم مرة او مرتين اسبوعيا لتدريب الطالبات على انشاد الاناشيد، ذلك انها شكلت منذ البداية بان تلك الاشارات لم تكن لغة او ما شابه، بل كانت ربما تسجيلا لما يسمى بـ (النوتة الموسيقية) ورغم غرابة هذا الافتراض فانها لم تجد له بديلا فسعت للاتصال بذلك الزميل مدعي الموسيقى وعرضت عليه ذلك اللغز الذي يخص السيد صبري))[٢٢].

ولعل في عنوان القصة دعوة القاص الى إضاءة لعالم النص الذي يصور للقارئ العالم الذي جرت فيه الاحداث حيث يشير العنوان (فانتازيا) التي اعتمدها ، وبالتالي أدى إلى كشف الثيمة الاساسية في القصة ذلك ان العنوان ((احد الوشائج الرابطة بين النص والعالم واعلان لتلك العلاقة الانعكاسية المزعومة بينهما)) [٢٣].

وان تلك الاشارات التي كانت تسطرها الشخصية (صبري) على الاوراق ما هي الا نوعا من الاسقاطات الذاتية من قبل الشخصية التي كانت تجد فيها أنعكاساً لما يجيش في النفس من مشاغل وخواطر وهذه الاسقاطات شكلت معادلا موضوعيا لجيل من الشباب سجلوا اغترابهم واعتزلاتهم.

وفي قصته ((الاختيار))[٢٤] وظف الراوي الاسترجاع لمعرفة الفترة الزمنية التي تركت فيها الشخصية (المحامي) محلة باب الشيخ وقرار العودة اليها بعد عشر سنوات لفتح مكتبا للمحاماة فيقول: ((ما كان لي ان أتصور عودتي إلى محلتنا القديمة (باب الشيخ) بعد اكثر من عشر سنوات، لكن تلك العودة تحققت حين فتحت لي مكتبا للمحاماة مطلا على شارع الكفاح فوق احدى المقاهي المجاورة لمخزن عبدالله الشيخلي)) [٢٥].

وفي قصة ((البجعة))[٢٦] نقرأ مقطعا للاسترجاع حاول فيها القاص ان يؤرخ لفترة تاريخية عاشها الشعب العراقي وخوضه للحرب التي شنتها امريكا ضده والوضع النفسي الذي عانى منه ابناءه من خوف وفزع.

والذي يأتينا عبر السرد الذاتي على لسان الفتاة فتقول: ((اذا انفتح علينا باب الجحيم ونحن منزوون في جحرنا الرطب ودون اكتراث، وأنا منكمشة على نفسي والهلع يرجفني ويكاد يفقدني الصواب، كنت انتقل بعيداً، ذاهبة بفكري وقلبي الى بغداد الى الصالة الهادئة التي صارت لي فردوسا مفقودا والى الشخص الوحيد الذي يهمني بقاءه على قيد الحياة وخلال عشرين يوما من حرب المتحرضين هؤلاء الوحشية بكل معنى الكلمة)) [٢٧].

فالقاص حاول عبر الاسترجاع الى ربط الماضي بالحاضر في محاولة منه لاعطاء القارئ صورة للرهبة والخوف التي اصابت الناس نتيجة للحرب واحساس الشخصية بالقلق والتأزم بعد ان اجبروا على ترك شقتهم ومدينتهم بغداد لتفادي خطر الحرب.

وفي قصة ((تحت شجرة وارفة الظلال))[٢٨] وظف القاص الاسترجاع في تسليط الضوء على شخصية كان لها دورا في تسير الاحداث في القصة والذي جاءنا عبر السرد الذاتي على لسانها فتقول: ((كنت نصف متعلم، لم اكمل الصف الرابع حين انتقلت والدتي الى العاصمة عمان، واختفينا انا وهي في ذلك السجن الصغير في سطح العمارة)) [٢٩].

فالاسترجاع وظفه القاص في كشف أبعاد الشخصية (الفكري والاجتماعي والنفسي) فهو شاب متوسطة العلم، ومن طبقة فقيرة، ومستوى نفسي متأزم فهي شخصية تعاني من الغربة والاعتزال بعد ان تركت موطنها الأصلي، فلم تجد لها ملجأ تسكن فيه إلا سطح العمارة. ووظف القاص الاسترجاع ايضا في تجسيم الدور البطولي الذي قامت به تلك الشخصية الشاب في دفاعه عن الفتاة التي تسكن العمارة التي يسكن هو سطحها، ينقله لنا الراوي عبر السرد الذاتي على لسان الشخصية وهي تصف لنا ذلك المشهد الوصفي فتقول: ((كنت انذاك بجانبها حيث أخرج ذلك الطويل المتأنق خنجره من تحت سترته وغرزه بسرعة في كتفها اليسرى قريبا من النهد، كنت اخاف هذا الشيء لم اكن قصيرا ولا ضعيفا ولان ما رأيته اثار ليس غضبي فحسب بل جنوني وجنون جنوني ان صح القول، هجمت عليه ولطمته لطمة واحدة في وجهه بدت عليه الدهشة كانت هي قد صرخت صرخة الم عالية لفتت الينا الانظار، استل خنجره من بين ضلوعها ملوثا بالدماء ووجهه لي في الصدر طعنة غادرة، تلقفتها بيدي فاخترق الخنجر كفي، الا اني استطعت مع ذلك ان اوجه الى وجهه المتشنج لطمة قوية بذراعي الاخرى، تراجع اثرها متعثرا وسقط هو وسلاحه على الارض)) [٣٠].

فالقاص جسد لنا بطله وهو في غضبه وهو يدافع عن تلك الفتاة التي كان يعتبرها املا لوجوده في هذه الحياة وهي تلك غيرت نظرته لها فالقاص (فؤاد التكرلي) يحاول دائما ان يجعل ((أبطاله يعيشون لحظات مواجهة حادة قد تضعهم في لجة العنف المادي الذي يقع على جسد البطل بشكل ضربات او كدمات تقع على الرأس أو الظهر أو الوجه)) [٣١].

ونقرا في قصة ((حديث الأشجار))[٣٢] مقطعا للاسترجاع الذي جاءنا عبر السرد الذاتي على لسان السيدة العجوز في حوارها الخارجي مع الشيخ عندما سألها عن نوع الحوار الذي يدور بينها وبين الاشجار ووصف الحديث الذي يدور بينهما وبين الاشجار بانه يشبه حديث الطرشان فتقول: ((حديث طرشان أو حوار بين طرشى، الامر عندي سيان، ولكن واقع الامر كان هكذا، كنت اخرج في تلك الليالي التي مضت، أتمشى ساعات في الارجاء المشجرة هذه، كل ليلة تقريبا، صيفا وشتاءا، أبقى اتجول حتى ساعة متأخرة من الليل)) [٣٣].

فالقاص (فؤاد التكرلي) أستطاع أن يوظف الطبيعة كمعادل موضوعي جسد فيه الحالة النفسية لشخوص قصته مما أعطى دلالة واقعية للحدث، فقد شكلت الطبيعة المتمثلة ب (الاشجار) وتوظيفة لعنصر الطبيعة ((وكأنه جزء من النسيج الفني وان (تكون) ثمة حاجة او ضرورة تستدعي حضوره ليؤدي دوره المؤثر في الحدث او الشخصية او العقدة على السواء))[٣٤].

(فالأشجار) بصمتها وضخامتها وصمودها أمام العواصف التي تجتازها قد شكلت معادلاً موضوعيا لحياة الشخصيات التي دارت عليهما احداث قصة (فؤاد التكرلي) فالاتجاه النفسي كان واضحا في القصة لانها تعبر عن كوامن نفسية تمثلها (الشيخ، السيدة العجوز).

ويستمر القاص عبر تقنية الاسترجاع، في الكشف عن ماضي (السيدة) في محاولة منه لقراءة صفحة من حياتها وسبب تعاستها وحزنها على لسان السيدة في حوارها مع الشيخ الذي التقت به في الحديقة، والذي ينقله لنا الراوي عبر السرد الذاتي فتقول: ((أنا ؟ أنا في الواقع لست إنسانة متفوقة كما تلطفت وقلت لي قبل دقائق، كما إنني غير محظوظة كما أدعيت أمامك، هنالك ياسيدي المحترم حادثة عظمى واحدة في حياتي، حادثة مفردة أحالة حياتي إلى صحراء. لقد مات حبيبي بين ذراعي، رأيته يلفظ أنفاسه الأخيرة وأنا احتضنه إنه زوجي وكل ما أملك في الدنيا، هل فقدت شخصا عزيزا عليك ياسيدي)) [٣٥].

فالاسترجاع حاول فيه القاص ان يربط بين ماضي الشخصية (السيدة العجوز) بالحاضر الذي آلت إليه بعد ان فقدت السند والحبيب الذي كان لها مصدر القوة في هذه الدنيا، فاذا بها تعيش أليأس والحزن فهي إنسانة غير محظوظة على عكس ما وصفها الشيخ والذي يمكن ان يكون الشيخ صورة ثانية لحياة السيدة.

فان القلق النفسي الذي تعيشه (السيدة) في سن اليأس واحساسها باقتراب ساعة الفناء، فالزمن يسرع في جريانه محققاً لحظة اليأس والإنحدار وهو زمن نفسي غير متجانس فكل إنسان ((يحمل في أعماقه عدادا داخليا يعبر عن الوقت على هواه بصورة من قصته ومختلفة عن عدادات الاشخاص الاخرين)) [٣٦].

وفي قصة ((الأشباح))[٣٧] وظف القاص الاسترجاع في الكشف عن ماضي الشخصية والتي لم يذكر لها اسما ووصفها بالضمير (هو) وحوارها الخارجي مع (الرجل المربوط) الذي تدور حولهما احداث القصة.

ينقله لنا الرواي عبر السرد الذاتي وهو يجيب عن الفترة التي ترك بها بلده العراق فيقول: ((كيف لي أن أتذكر ربمّا بعد الحصار بسنة او سنتين، ما دخل هذا في قضيتي))[٣٨].

فالقاص جسد عبر الاسترجاع لفترة زمنية عاشها الشعب العراقي في ظل الحصار الذي فرض على البلاد ،وهي مرحلة تاريخية كان لها الاثر السلبي على كافة شرائح المجتمع كما حاول القاص من خلال الاسترجاع ان يركز على الجوانب السلبية التي ترسخت في نفوس وحياة العراقيين وتمثلها ذلك بحالة الخطف تصورة في الصور التي آلت أليها الأوضاع في العراق والتي لا تزال نلمح اثارها لحد الان في تاريخ العراق ومطالبة اهل المخطوف بدفع الفدية المتمثلة بمبلغ من المال يحدد بمدى أهمية الشخص المخطوف.

ونقرأ للاسترجاع في قصة ((انتظرني عند شجرة الدردار))[٣٩] الذي جسده الراوي على لسان السيدة في حوارها الخارجي مع الشاب فتقول: (إلا تظن وأنت في زمنك المقلوب هذا، بانه من الممكن ان تكون لي علاقة بتلك التي اخطأت في الاختيار، اخطأت منذ ثلاثين سنة))[٤٠].

فالقاص عمد الى سلخ الحاضر من أدراج الماضي فحياة السيدة شكلت المعادل الموضوعي لحياة الفتاة التي كان ينتظرها الشاب والذي كان يرتدي القميص المخطط ويمكن ان تشكل الخطوط المسافات التي مشتها السيدة او الارتداد الزمني للرجوع الى الماضي.

ويمكننا الرجوع الى العنوان الذي يشكل عتبة القصة والمدخل الى مجرياتها واحداثها التي تدور حولها فنقرأ العنوان ((أنتظرني عند شجر الدردار)) والذي فسرته السيدة على لسانها عبر السرد الذاتي في حوارها الخارجي مع الشاب الذي كان ينتظر الفتاة التي وعدته بالقاء على هذا الموعد عند شجرة الدردار فتقول: ((آن... كانت تلك منها الى الموعد الذي سيخلف وأنت لم تفهم لعلك لم تكن تعلم بأن هناك مثل هذا الاصطلاح في لغة أجنبية))[٤١].

أن عملية ربط الماضي بالحاضر تعدّ أحدى وظائف الاسترجاع وهذا ما لجأ إليه القاص من خلال ربط ماضي السيدة بحاضر الفتاة التي أخلفت موعد الشاب، فالشخصية متوترة مأزومة تتلاحق الأحداث عليها ولغته مكثفة رمزية تغطي جانب التوتر الذي يشعر به أبطال القصة.

إنّ الاختلال الزماني الذي دار على لسان الشخصية قد تجسد من خلال ربط أحداث وقعت بالماضي بإحداث تدور احداثها بحاضر الشخصية أي دمج الماضي بالحاضر مما احدث ارباك لدى القارئ هل هذه الاحداث دارت بالماضي أم الحاضر؟

ونقرأ للاسترجاع في قصته ((البحث عن المتعبين))[٤٢] في حديث السيدة التي اقحمت بنفسها وكلامها الى العجوز الذي كان يجلس في المقهى يشرب فنجان قهوة والذي وصفه الراوي عبر السرد الموضوعي فيقول : ((يجلس السيد العجوز الى المائدة وحيداً، يرشف بهدوء من فنجان قهوة أمامه، انه في ملابس عتيقة جدا ومهلهلة الى حد ما دون رباط ورقبته تظهر من خلال فتحة القميص يبدو في جلسته وانحناءة رأسه، مثيرا للشفقة)) [٤٣].

((فالزمن متوالية لا يمكن أن تدرك دون الرجوع إلى ما يسبق هذه المتتالية والى ما ياتي بعدها والتي تربط بينهما الذاكرة التي بدونها لا يوجد قبل أو بعد)) [٤٤].

فحاول القاص من خلال توظيفه للاسترجاع ان يتخذ من صورة العجوز وجلسته وانحناءة راسه التي توحي بالخضوع وتثير بالشفقة من وجهة نظر السيدة معادلا موضوعيا لحالة الشعب العراقي الذي عمت فيه الفوضى وضياع لحقوق الإنسان بعدما كان في السابق كبيرا في مقامه وهيبته والان اصبح ساحة للتجريب من قبل اناس ليسوا من اهل العراق ويحكمون العراق.

ذلك ان الحاضر والمستقبل اللحظة التي انتهت، واللحظة التي لم تأتي بعد ذلك لان كل حاضر، ماضي وكل مستقبل يصبح حاضرا، ويجب ان نفرق بين زمنين الاول الزمان النقي، إذ ((يتمتع كل واحد منا بقدرة على تجميع الاحداث التي هو مركزها او يشهدها واختزانها وترتيبها بنظام معين في اللاشعور وكذا خواطره واحساساته ومشاعره الداخلية والخارجية وهذا الترتيب المنظم هو الذي يشعرنا بسريان الزمن والاحساس به داخل ذاتنا)) [٤٥].

وفي قصته ((حديث عن النهايات)) [٤٦] وظف الرواي الاسترجاع على لسان الشخصية المتهمة (فريال) من خلال وصف ابيها ينقله لنا الراوي عبر السرد الذاتي في حوارها الخارجي مع المحامي فتقول: ((ابي انسان ضعيف، ولكنه كان قادرا مع الاسف على توجيه حياتي الوجهة التي يريدها، كان شغوفا بالمال والثراء وكان يعتبر ذلك سره الخاص، لقد دفعني للزواج من ذلك الشخص ذلك المخلوق)) [٤٧].

فالقاص وصف لنا من خلال الاسترجاع شخصية الاب المحبة للمال حتى وان كان ذلك التصرف على حساب ابنته، كما وظفه الراوي في الوصول الى حقيقة العلاقة بين فريال وزوجها والذي راح ضحيتها الطفل البريء فبسببها قتلت فريال زوجها عندما رأته يضرب إبنه ضربة أدت به الى الموت فحكم عليها القانون بالعقوبة القصوى.

الاستشراف:

تتميز الاستشرافات والاستباقات بطابعها المستقبلي التنبئي وأن أفضل النصوص السردية التي تمتلك ((قابلية تمثل الاستشراف وهي النصوص المسرودة بضمير المتكلم))[٤٨].

فالاسترجاع للماضي اذ كان يعتمد فيه الراوي على ((استحياء أحداث سابقة للنقطة التي توصل اليها سرد القصة ، فان استشراف المستقبل يكمن في استحياء احداث سابقة للنقطة التي وصل اليها هذا السرد)) [٤٩].

والسرد في الاسترجاع يتوقف صعدا من الحاضر الى المستقبل، اما في استشراف المستقبل فـ ((السرد المتنامي صعدا من الحاضر الى المستقبل يقفز الى الامام متخطيا النقطة التي وصل اليها))[٥٠].

وان ظاهرة الاستشراف تبدو نادرة في النصوص القصصية ذات الصبغة الواقعية والذي يؤيد ندرتها هو ((استخدام نوع من الرؤية يكون فيها الراوي بصدد اكتشاف تطورات الاحداث مع القارئ فلا يستطيع التنبؤ بما سيحدث)) [٥١].

فالمجموعة القصصية (حديث الاشجار) محور الدراسة خضعت في ترتيب الاحداث الى خط زمني أساسي يعود الى طبيعة شكل النص الادبي، ولكن القاص اكثر من قطع ذلك الزمن للخوض في احداث سابقة، وكأن الزمن اصبح معادلة بين الحاضر والمستقبل فوظف تقنية الاستشراف في مجموعته القصصية والتي جاءت متناثرة بحيث لم نقرأ قصة إلاّ وفيها نوعا من الاستشراف.

ففي قصة (سر الطفل) جاء الاستشراف يكشف عن المهارة الادبية التي يمتلكها الطفل (سامي) ورغبته في كتابة قصة عن صديقه وجاره (احمد) ينقله لنا الراوي عبر السرد الذاتي على لسان (سامي) من خلال الحوار الخارجي الذي دار بينه وبين ابيه فيقول:

((القراء؟! هل سيقرأ لنا احد ما نكتب

لم لا؟ لماذا نتعب ونكتب قصة اذ لم يقرأها احد

– صحيح، صحيح والله بابا)) (٥٢).

فالكاتب لم يحدد لنا زمن الوقائع الجزئية التي تضمنها الحدث في القصة هل كان قريبا ام بعيدا، وهل كان المقصود بالكاتب الصغير (الابن) ام الكاتب الكبير (الاب).

وفي قصته (الاغنية الاخرى) وظف القاص تقنية الاستشراف كوسيلة لربط الماضي بالحاضر ، ماضي الفتاة الذي عاشته مع حبيبها قبل ان تهجره وتعود الى بلدها وموقف الاهل من الشاب الذي تقدم الى خطبتها ينقله لنا الراوي عبر السرد الذاتي على لسان اختها في حوارها مع الفتاة فتقول: ((انك لن تستطيعي ان تقاومي هكذا الى الابد لا مجال لتضييع الوقت بعد الان العمر ينقضي)) (٥٣).

وفي قصته (قضية خاصة) يكشف الاستشراف عن موقف البروفيسور من صبري بعدما رأى رزمة الأوراق التي سجل عليها الرموز التي تشبه النوطة الموسيقية التي عرضها عليه المدرس الذي كلفته المعلمة رسمية بهذه المهمة ينقله لنا الراوي عبر السرد الموضوعي فيقول: ((اخبرها أن كارثة محققة ستحل بالجميع ان لم يسارعوا لانقاذ انفسهم فذلك البروفيسور الهائج هدد صديقه بطرده من المعهد وقطع رزقه ان لم يؤته بالرجل الذي سطر النوطة)) (٥٤).

وفي قصة (الاختيار) نقرأ للاستشراف الذي افصح فيه الراوي عن السبب الذي دفع اليه (المحامي) الى فتح مكتب المحاماة والذي اختاره في محلته القديمة (باب الشيخ) ينقله لنا عبر السرد الذاتي على لسان الشخصية المحورية (المحامي) فيقول: ((فقد أخذت افتتاح المكتب على إنه خطوة أولى للتعيين بعد ذلك في مسلك القضاة مثل والدي واخوته)) (٥٥).

ووظف الراوي للاستشراف ايضا في تجسييد التصور الجغرافي للمنطقة (باب الشيخ) بعد ان تركها لعدة سنوات ينقله لنا عبر السرد الذاتي على لسان الشخصية (المحامي) فيقول: ((محلة باب الشيخ رفيع وسبب وجود مدرسة باب الشيخ في تلك المنطقة، ولاني درست فيها اكثر من اربع سنوات، فقد كانت تمتعني احيانا ان اسمع منه الوضع في تلك المنطقة وما صارت اليه، هي وسكانها كأن يتنبأ ليس بدون اسباب، بانها منطقة ايلة، الى الزوال وان امور الزمان وتطلعات رجال السلطة تجعلها مكان وقتيا لا مستقبل له)) (٥٦).

وفي قصة (البجعة) وظف الراوي الاستشراف كمراة صور فيها الوضع النفسي الذي عاشه الشعب العراقي وهو ينتظر ساعة الصفر لاعلان بدا الحرب التي اندلعت بين العراق وثلاثة وثلاثين دولة التي وصفها لنا الراوي عبر السرد الذاتي على لسان الفتاة فيقول: ((كنا جميعا، تلك الايام المنحوسة مسكونين برعب خفي ما ستجلبه التهديدات بالحرب، التي تزداد يوما بعد يوم، ولم يدر احد، ربما في البلد كله، كيف يأخذها حقيقة ، أهي مهزلة جديدة ام مشروع اخر لمجازر اخرى وكنت أساله أحيانا عن كل هذا)) (٥٧).

ووظفه الراوي ايضا في الكشف عن شخصية أستاذ اللغة العربية (عبدالاحد) الذي توحدت عواطفه مع الفتاة وعن نفسيته التي تماشت مع أسمه فهو شخصية عاشقة للوحدة وللمكان الذي لايمكن الحياد عنه حتى وأن دقت طبول الحرب معلنة عن بداية نشوبها ، ينقله لنا الراوي على لسان الاستاذ (عبد الأحد) عبر السرد الذاتي في حواره الخارجي مع الفتاة فيقول:

((فلما سألته

- وانت يا استاذ... ماذا ستعمل
- ابتسم. كانت ابتسامة حزن ومرارة واستسلام واسى

- انا سألغ السبعين من عمري بعد شهرين، وانا حتى لو بحثت عن احد او عن مكان... لما وجدته... ماذا تريدين مني؟
- انا اعمل يا صغيرتي... غير ان ابقى مع الطيور)) (٥٨).

وفي قصة (الاشباح) يوظف القاص الاستشراف في تجسيد قصة الرجل المربوط وموقفه من بلده العراق الذي هجره والذي وقع اسيرا في يد الشخص الثاني الذي اطلق عليه الراوي الضمير (هو) من خلال الحوار الذي دار بينه وبين زوجته ينقله لنا الراوي عبر السرد الذاتي على لسان الرجل المربوط فيقول: ((قلت لها... قلت لها عدة مرات، لا يمكنني العودة الى تلك المدينة بغداد، الى ذلك البلد الملعون، قلت لها كررت القول الف مرة لا يمكنني... لا يمكنني لكنها لم تجد وصفا تصفني به الا الجبن الجبن والخوف والاختباء والتراجع وحتى الخيانة والحقوق، وبماذا يمكن ان اجيبها وقد أكملت الثالثة والسبعين ؟ تقول: ماذا تبقى لك كي تخشاه؟ وهي لا تعلم بان الساعات الاخيرة تصير اثمن مع اقتراب النهاية. أثمن واثمن حتى الدقائق وربما الثواني)) (٥٩).

فالقاص حاول من خلال الاستشراف ان يوثق لاحداث حدثت ولا تزال واقعة في المجتمع العراقي من عمليات الخطف والنهب كل تلك السلبيات التي كانت من اثار الحروب والتحديات التي تعرض لها العراق وكيف ان مصير البشر صارت تحكمه ايادي غادرة فنرى الراوي يجسد هذا الموقف من خلال استفسار الرجل المربوط عن مصيره الغامض في حواره الخارجي مع الرجل المكنى بـ (هو) فيقول: ((عليك ان تصبر. لماذا تستعجل هكذا؟ سنحل قضيتك في الوقت المناسب)) (٦٠).

وفي قصة (انتظرني عند شجرة الدردار) وظف الراوي الاستشراف ليجسد موقف (الفتاة) التي ينتظرها الشاب امام موقف الباص حسب الموعد الذي تم الاتفاق عليه بينهما، وتدخل السيدة التي اثارت اعصاب الشاب ينقله لنا الراوي على لسان السيدة في حوارها الخارجي مع الشاب فتقول:

((السيدة

كماتشاء

(هنيهة سكون)

غير انها ستأتي ياصديقي، اعلم انها لن تتأخر هذه المرة)) [٦١].

ووظف الراوي الاستشراف في اعطاء تصور كافي عن مضمون القصة ابتداءا من العنوان وتدرجا الى النهاية على لسان السيدة في حوارها الخارجي مع الشاب فتقول:

((السيد:

آه. كانت تلك اشارة منها الى الموعد الذي سيخلف وانت لم تفهم، لعلك لم تكن تعلم بان هنالك مثل هذا الاصطلاح في لغة اجنبية)) [٦٢].

والاستشراف في قصة (البحث عن المتعبين) وظف الراوي فيه السيدة كمعادل موضوعي لموقف العالم من العراق وكيف انه محتاج الى بلد صديق يأخذ بيده الى الامام لان كل من يقترب منه تكون المصلحة الدافع الاول. يجسده الراوي عبر الحوار الخارجي الذي دار بين العجوز الذي كان جالسا على الكرسي في مقهى لمدينة كبيرة على لسان السيدة فتقول: ((السيدة طبعا اعرف ذلك واعرف انك ستبقى جالسا تصلي في قرارة نفسك من اجل قدوم صديق او فاعل خير ينقذك من هذا الموقف المزعج.. اليس كذلك)) [٦٣].

فنقرأ الاستشراف الذي تجسده هذه الوضعية ينقله لنا عبر الحوار الخارجي الذي دار بين الرجل المربوط والشخص المكنى بـ (هو)

((– الرجل المربوط

تزايدون على من ؟ انت قلت ان سعري هو هذا الذي ذكرته

–هو

انت لا تفهم الجماعة الاخرى، فيها شخص يريد ان يحصل عليك بكل ثمن. لقد ابدى استعداده حالا لدفع المائتين والخمسين، فلما رأينا حماسه هذا قررنا ان نزيد السعر الى ثلاثمئة.

–الرجل المربوط

وهذا الشخص ما سيفعل بي اذا وقعت بيده، انه والعياذ بالله.

– هو لحظة صمت

لا اظنه يريد لك الخير لست متأكدا ولكني لا احسب انه من فعله الخير هذه الايام.

–الرجل المربوط

هل تقصد انه سيقتلني

–هو

على الاغلب، ذلك ان سعرك هو مائتان وخمسون، فاذا دفع ثلاثمئة وهو سيدفع فلن يجد من يدفع هذا المبلغ او يزيد عليه بالاحرى.

–الرجل المربوط

رحمة ربي اذن يا سيدي، اتركوا الفرصة لأقربائي كي يدبروا المبلغ الذي تريدونه دعوني اتصل بهم هاتفيا)) (٦٤).

وفي قصته (حديث عن النهايات) وظف الراوي الاستشراف في تصوير موقف المتهمة (فريال) القانوني بعد اصرارها على الأقوال التي أدلت بها امام حاكم التحقيق ومن ثم المحامي الذي التقى بها في محاولة منه لمساعدتها في الدفاع عنها لتخفيف العقوبة الملقاة عليها بتهمة قتل (ابنها وزوجها) في آن واحد فينقله لنا الراوي على لسان المحامي من خلال الحوار الخارجي الذي دار بينهما فيقول:

((المحامي

–اهذه هي (كلا) التي كررتها امام حاكم التحقيق؟ لن يفيدنا هذا في شيء مع الاسف وارجو ان تعلمي مسبقا باني لا املك دفاعا عما نعيشه هذه الايام في العراق، لذلك من المستحسن ان توفري غضبك عليّ الى وقت اخر)) (٦٥).

ثم يستمر الراوي في توظيفه للاستشراف في الكشف عن شخصية والد فريال الذي كان الدافع الاول في اسباب ارتباطها بزوجها ينقله لنا الراوي عبر السرد الذاتي على لسان فريال في حوارها الخارجي مع المحامي فتقول:

((كان يعتقد انه سيضمن لي حياة سعيدة حسب مواصفاته وكان في السر، يخطط للاستحواذ على ثروة ذلك الزوج بشكل ما، ياللغباء)) [٦٦].

في قصته ((الهواتف الملونة)) [٦٧] يجسد الراوي الاستشراف ليوثق لنا بعض الافعال السلبية التي يرتكبها اصحاب العقول الضعيفة دينا وعلما وهي افعال بعيدة عن المبادئ والقيم الدينية التي تربى عليها المسلم، فوظف الاستشراف في تجسيد عملية الخطف التي نفذها جماعة من المختطفين بحق التاجر واخذ الاوامر من شخص يترأس هذه الجماعة بدون ان يدرك الفاعل بان الضحية انسان له مشاعر واحاسيس وعائلة من زوجة واولاد ، وان الروح التي يتساومون عليها ليست لاحد الا الله سبحانه وتعالى فعبر السرد الذاتي على لسان الشخصية التي تعطي الاوامر عبر الهاتف ينقل لنا الراوي الاستشراف فيقول: ((الهاتف الأصفر يرن ويعطي اشارة، يسرع قليلا اليه ويرفع السماعة

هالو... حسن؟ لا تخابرني في هذا الوقت، قلت لك ذلك الف مرة الا تعلم باني انتظر خبرا مهما؟ ماذا به؟ هذه اول مرة اسمع فيها شيئا كهذا.. مخطوف ابن كلب يريد ان يفحصه طبيب!؟! ابصق عليه يا لعنة الله عليه، مخطوف مريض... لماذا خطفتونه اذن، انا امرت من هو؟ اه.. ذلك الحمار التاجر انه يتظاهر قل له اسرع بدفع الدفاتر الخمسين والا فلا طبيب ولا بطيخ وسنتركه يتفسخ قل له ان الرئيس قال هكذا مع السلامة)) [٦٨].

ويستمر الراوي في توظيف الاستشراف ووصفه الى اي مدى سيطرت تلك الاعمال المشينة على قلوب وعقول البشر وكيف اقتحمت المادة حياتنا فصارت تحتل المرتبة الاولى في عداد الاهتمام او ظهور تجارة البشر في حلبة المزاد ينقله لنا الراوي على لسان الشخصية التي تتلقى اوامرها من جهات عليا ثم تفرض بدورها سيطرتها وامرها على فئة اخرى تعمل لحسابها عبر السرد الذاتي في حوارها الخارجي مع من هم اعلى مرتبه فيقول: ((انا انتظر منذ ثلاثة اسابيع، سماحتكم دون فائدة نعم؟ اي مخطوف منهم هذا، نعم موجود لم يدفع بعد، اهله يوفون، لم نطلب الكثير خمسين دفترا فقط يستحق مائة ماذا تأمرون؟ تنقيص المبلغ، انت تامر، سماحتكم ساجعلها عشرين من اجل عيون سماحتكم فقط، فكرو في الوزارة التي استحقها. لا تظلموني سماحتكم، فانا ابنكم البار. نعم. مع الف سلامة)) [٦٩].

ويمكننا ان نذكر ان الراوي من خلال الاستشراف استطاع ان يجعل الأحداث مرآة تعكس من خلالها الواقع الاجتماعي والسياسي الذي يعيشه ابناء الشعب العراقي والى وقتنا الاني من سرقة ونهب وتسليب وخطف.

وثمة لحظات تكتسب اهمية خاصة في حياة الشخصية الفنية يحاول الراوي ان يكثفها في نفس الشخصية لتترجم حياتها من خلالها ،وكاتبنا فؤاد التكرلي احيانا يحدد لحظة الذات ، ويسلط الضوء عليها بسبب ماتعنيه الشخصية ذاتها ،انها لحظة تنويرية بالنسبة للشخصيات لا للكاتب وما على الكاتب الا ان يستسلم لغواية شخصياته.

الخاتمة:

١. لقد قدم القاص فؤاد التكرلي عبر تقنيتي (الاسترجاع، الاستشراف) في مجموعته القصصية محور الدراسة مثالا متميزا لاستخدام الزمن النفسي اذ صور الزمن ازمة المثقف إزاء المدنية والحاضرة ، هذا الزمن الذي يمكن ان نطلق عليه اسم (الزمن الكابوسي) والذي امتد على صفحات من مجموعته عبر فيه القاص عن الشخصية المآزومة على الصعيد النفسي فيما يتعلق بصراع النفعية ضد كل ما هو انساني.

٢. لقد ترسخت هذه التقنية في العمل الابداعي للقاص ونستطيع ان نجد الامثلة الكثيرة، الذي يركز على مفهوم (الاسترجاع ، الاستشراف) اذ تظهر هذه التقنية لديه بكثافة شديدة مما يوحد الشخصيات والذكر يات أمام المصير الزمني وهذا ما يعطي النص كله نوعا من التماسك.

٣. ان الوظائف التي تقوم بها تقنية (الاسترجاع، الاستشراف) لايمكن ان تحصى في المجموعة القصصية اذ ان ذلك رهن بالمبدعين انفسهم، الا ان هذه الوظائف مهما تعددت تبقى متنفسا تلجأ اليه الشخصيات.

قائمة المصادر والمراجع:

١. البناء الفني لرواية الحرب في العراق، دراسة لنظم السرد في الرواية العراقية الى المعاصرة، عبد الله إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ١٩٨٨، ٣٩.

٢. تحليل الخطاب الروائي ، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي ، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٩، ٧٧.

٣. الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، د. إبراهيم جنداري جمعة ، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ٢٠٠١، ٣٩.

٤. بنية الشكل الروائي، حميد الحمداني، حسين بحراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت ط١، ١٩٩٠، ١٢١.

٥. مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا ، سمير المرزوقي ، جميل شاكر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.

٦. قضايا السرد عند نجيب محفوظ، وليد نجار، منشورات دار الكتب اللبناني، المكتبة الجامعية، ط١، بيروت، ١٩٨٥، ٩٦.

٧. مدخل إلى التحليل البنيوي الشكلي للسرد، يحيى عارف الكبيسي، الأقلام، ع(٥-٦) بغداد، ١٩٩٧، ٧.

٨. البناء الفني لرواية الحرب في العراق، ٢٤٢.

٩. الشكل القصصي في القران الكريم، دراسة جمالية، نبهان حسون عبد الله ، رسالة ماجستير، إشراف ، أ. د. إبراهيم جنداري جمعة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٩.

١٠. بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، د. سيزا قاسم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤، ٥٤.

١١. جدلية الزمن، غاستون باشلار، ت خليل احمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤.

١٢. الزمن الروائي، إبراهيم جنداري جمعة، مجلة التربية والعلم، ع ٣٠، لسنة ٢٠٠١، ١٧٠.

١٣. حديث الأشجار مجموعة قصصية ، فؤاد التكرلي، دار المدى للثقافة والنشر، العراق، بغداد، ٢٠٠٦.

١٤. تقنيات السرد الروائي عند غادة سمان، فيصل غازي النعيمي، إشراف ، أ.د. إبراهيم جنداري، رسالة ماجستير ،كلية التربية ، جامعة الموصل، ١٩٩٩، ٣٧.

١٥. سر الطفل ، مجموعة قصصية (حديث الأشجار) ،٧.

١٦. نفسه ، ١٢ . ١٣.

١٧. في مناهج تحليل الخطاب السردي ، ١٢١.

١٨. الأغنية الأخرى، مجموعة قصصية (حديث الأشجار)، ١٥.

١٩. نفسه، ١٥.

٢٠. قضية خاصة (فانتازي)، مجموعة قصصية (حديث الأشجار)، ٢٣.

٢١. نفسه، ٢٤.

٢٢. معجم المصطلحات في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، د.ت، ١٥٥.

٢٣. قضية خاصة، ٣٠.

٢٤. في نظرية العنوان، مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، خالد حسين خالد، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط١، ٢٠٠٧، ٣٧٠.

٢٥. الاختيار، مجموعة قصصية (حديث الأشجار)، ٣٩.

٢٦. نفسه، ٣٩.

٢٧. البجعة، مجموعة قصصية (حديث الأشجار)، ٤٨.

٢٨. نفسه، ٥٨.

٢٩. تحت شجرة وارفة الظلال، مجموعة قصصية (حديث الأشجار)، ٧٠.

٣٠. نفسه، ٧٠.

٣١. نفسه، ٧٢.

٣٢. إطلالة على واقع القصة، عبد الجبار داؤد البصري، ١٩.

٣٣. حديث الأشجار، مجموعة قصصية (حديث الأشجار)، ٧٩.

٣٤. نفسه، ٧٩.

٣٥. التوظيف الفني للطبيعة في أدب نجيب محفوظ، د. صالح هويدي، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٩٢، ١٧، ١٨.

٣٦. حديث الأشجار، ٨٥.

٣٧. ألحظة الأبدية (دراسة الزمان في أدب القرن العشرين)، سمير الحاج شاهين، المؤسسة العامة للدراسات والنشر ، بيروت، ١٩٨٠، ١٢١.

٣٨. الأشباح، مجموعة قصصية (حديث الأشجار)، ٩٥.

٣٩. نفسه ، ٩٧.

٤٠. انتظرني عند شجرة الدردار، مجموعة قصصية (حديث الأشجار)، ١١٥.

٤١. نفسه، ١١٥.

٤٢. نفسه ، ١١٦.

٤٣. البحث عن المتعبين ، مجموعة قصصية (حديث الأشجار)، ١١٧.

٤٤. نفسه،١١٧.

٤٥. العلم للجميع، حمدي مصطفى، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، ١٩٧٠، ٢٧.

٤٦. نفسه، ٧٣، ٧٤.

٤٧. حديث عن النهايات، مجموعة قصصية (حديث الأشجار)/ ١٣٨.

٤٨. نفسه، ١٣٨.

٤٩. في مناهج تحليل الخطاب السردي، عمر عيلان،اتحاد الكتاب العرب ،دمشق، ١٣٣.

٥٠. الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة، موريس أبو ناضر، دار النهار ، بيروت، ط١، ١٩٧٩، ٩٦.

٥١. نفسه، ٩٦.

٥٢. المكان والزمان في يوميات نائب في الارياف، ليلى درغوت، مج الحياة الثقافية،٥٢.

٥٣. سر الطفل، ٩.

٥٤. الاغنية الاخرى، ١٦.

٥٥. قضية خاصة (فانتازي)، ٣٤.

٥٦. الاختيار، ٣٩.

٥٧. نفسه، ٤٠.

٥٨. البجعة، ٥٠.

٥٩. نفسه، ٥٠–٥١.

٦٠. الاشباح، ٨٩.

٦١. نفسه ، ٩٢.

٦٢. انتظرني عند شجرة الدردار، ١٠٨.

٦٣. نفسه، ١١٥.

٦٤. نفسه، ١١٩.

٦٥. الأشباح ، ١٠١.

٦٦. حديث عن النهايات، ١٣٤.

٦٧. نفسه، ١٣٨.

٦٨. الهواتف الملونة ، مجموعة قصصية (حديث الاشجار) ،١٤٦.

٦٩. نفسه ، ١٤٧.

The two technical (Recurperation, pragmatim). In (Hadeath Al Ashjaer) for Foad Al Tiekrley.

Summarized:

This comparing aims to study the two technical (recuperation, pragmatism) which is solidified in working (Hadeath Al Ashjaer) for Foa'ad Al Tiekrley. This study including (Recuperation) technical but the second (Pragmatism) deals with samples applied for two technical, this research ending in epilog including important results studies then menu including important resources and Values.